مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة
العدد الرابع
1987

- بين داعٍ ومبشّر
- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام
- الألمان والقرآن
- بعض علماء النفس يعودون إلى رشدهم
- نصوص أجنبية مترجمة

أتابك

التحـــرير

أتابك أو أطابك كما ترد في بعض المصـادر (أبو الفـداء 2 /98) ـ لفظ تركي مـركب من كلمتين همـا « آتا و» وتعني أب ، و « بـك » وتعني أمـير . وهكـذا فـإن معناها الوالد الأمير أو أمير أب أو أبو الأمراء (القلقشندي 4 /18) .

وأتابك في الاصطلاح لقب يطلق على موظف كبير لدى السلاجقة تسنـد إليه مهمـة تربيـة الأمير الصغـير . وأول إشارة إلى هـذا اللقب في التـاريـخ الاسـلامي اقترنت مع ظهور السلاجقة وبلوغهم ذروة قوتهم ، ولقب به وزير السلاجقة نـظام الملك عندما فوضه السلطان ملكشاه بتدبير أمور الدولة مخاطباً إياه :

« قـد رددت الأمور كلهـا كبيرهـا وصغيرهـا إليـك ، فـأنت الـوالـد وحلف له . . . وخلع عليه ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك ومعنـاه الأمير الـوالد . . . » (ابن الأثير 10 /80) .

والأكيد أن هذا اللقب أو الوظيفة لم يـأخذ بـه السلاجقـة إثر سيـطرتهم على الأمور السياسية والعسكرية في الدولة العباسية بل عرفوه وهم في موطنهم في أواسط آسيا إذ أننا نجد لدى المجتمعات التركيـة في أواسط آسيا لقب « آتـا » ويطلق عـلى من يتولى تربية الأمير الصغير ، على أن النظام السلجوقي الاقطاعي هو الذي أشاع وظيفـة الأتابـك ومهد بـذلك لـظهـور الأتابيكات التي أصبحت من مفـاهيم الحكم السلجوقي .

والأتابك يؤخذ عادة من القادة العسكريين البارزين الذين كانوا في الأصل أرقاء أو مماليك وكان يأتي بهم السلاجقة من بلاد القفجاق شمالي البحر الأسود ويخضعونهم لتربية صارمة متأثرة بالقواعد التي اتبعها السامانيون في تربية المماليك ونتيجة للمناصب التي يتولونها في الجيش أو البلاط كان يترسخ نفوذهم ويحوزون على ثقة السلطان ، وكانت توكل إليهم مهمة تربية أبناء السلطان عندما يخصهم باقطاعات وهم صغيرو السن.

إن مهمة الأتابك تتمثل في تربية الأمير ورعاية مصلحته وخدمته باعتباره سيده وعندما يشب الأمير ويصبح قادراً على مزاولة مهامه في إمارته أو إقطاعه إما أن ينقلب الأتابك إلى مستشار لدى الأمير يسمع رأيه ، أو يغدو على درجة من القوة بحيث ينقلب الأمير أداة طيعة في يده ، أو يتزوج الأتابك أم الأمير عندما تترمل ويزداد بذلك نفوذه .

ووظيفة أتابك بما توفره لصاحبها من فرص فرض النفوذ ، ازدادت أهميته في الدولة السلجوقية التي أخذت تضعف بعد وفاة ملكشاه في 1192/485 . وأصبح هؤلاء الأتابكة الذين ظهروا إلى جانب كل أمير سلجوقي شاب بعد منحه إقطاعاً على درجة من القوة بحيث استطاعوا أن يسيطروا على مقاليد الأمور سيطرة فعلية ويقتسموا الدولة السلجوقية فيما بينهم . . ونتيجة لذلك استطاعوا تأسيس دويلات عرفت باسم أتابكية وكانوا يحكمون هذه الدول حكماً وراثياً استمر في بعضها أكثر من قرن من الزمن واتخذ بعضهم لقب الملك وضرب السكة باسمه واتخذ بعضهم لقب « الأتابك الأعظم » كما هو الحال لدى إيلدكز في أذربيجان أو لقب « شاه » كما هو الحال في خوارزم .وكان لهؤلاء الأتابكة صلاحيات واسعة في الإطارين العسكري والسياسي وتولى بعضهم الدفاع عن مناطق الثغور ومجابهة الأخطار الطارئة.وهذا ما يتمثل بخاصة في أتابكية دمشق وأتابكية الموصل وفي الدور الذي قامتا به في مقاومة الاحتلال الصليبي وعلى وجه الخصوص أتابكية الموصل إذ تمكن الأتابك عماد الدين زنكي وخلفاؤه من وضع القاعدة التي بنيت عليها ردة الفعل العربية الاسلامية ضد الغزو الصليبي وذلك بالجهاد المستمر وتوحيد الجبهة العربية الاسلامية ووضع الأسس المادية والمعنوية للقضاء على الصليبيين .

إن الأتابكيات التي جرى تأسيسها خلال القرنين الخامس والسادس عديدة ونورد أهمها حسب تواريخ تأسيسها :

1 ـ أتابكية خوارزم 490 -628 .
2 ـ أتابكية دمشق 497 -549 .
3 ـ أتابكية الموصل521 -631 .
4 ـ أتابكية أذربيجان 531 —632 .
5 ـ أتابكية فارس 543 -686 .

واستمرت وظيفة أتابك لدى الأيوبين والمماليك ، وغيرها تتخذ لدى المماليك اسم أتابك العساكر ويقول القلقشندي إنه أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل وليس له وظيفة ترجع إلى أمر ونهي وغايته رفعة المحل وعلو المقام .

المصادر

ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ـ تحقيق عبد القادر طليمات القاهرة 1963 .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ـ بيروت 1966 .

ابن القلانسي : ذيل تاريخ ، دمشق ـ بيروت 1908 .

أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ـ القاهرة .

البنداري: الفتح بن علي بن محمد ـ مختصر تواريخ آل سلجوق ـ ليدن 1889 .

الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ـ القاهرة ، 1960

القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشاء ـ القاهرة ، دار الكتب المصرية .

الحسيني صدر الدين : أخبار الدولة السلجوقية ـ نشر محمد اقبال ، لاهور 1933 .

نظام الملك : سياست نامه ، طهران .

اسماعيل أحمد علي : تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ـ دمشق 1983 .

اقبال ، عباس : الوزارة في عهد السلاجقة ـ ترجمة أحمد كمال حلمي ، الكويت 1980 .

الباشا . . حسن : الألقاب الاسلامية ـ القاهرة 1957 .

الجميلي ، رشيد : دولة الأتابكة في الموصل ـ بيروت 1970 .
حسنين، عبد المنعم : سلاجقة ايران والعراق ـ القاهرة 1959
حلمي ، أحمد كمال الدين: السلاجقة في التاريخ والحضارة ـ الكويت 1975 حمدي ، حافظ: الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ـ القاهرة.

Encyclpaedia of Islam (EI^2 I, 731- 732).

Islam Ansiklopedisi. Istanbul 1965. I, 711- 718.